

الطوبونيميا المائية في جنوب ولاية الشلف قرية العثمانية نموذجا

Water toponymy in the south of Chlef Province: (AL-ATHAMNIA)
Village as a modelرضوان شيهان^{1*}¹ جامعة حسنية بن بوعلي-الشلف (الجزائر)، chihane.radouane@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/29 تاريخ القبول: 2022/02/28 تاريخ النشر: 2022/06/05

ملخص:

في هذا البحث سنسلط الضوء على الطوبونيميا المائية بقرية العثمانية الواقعة أقصى جنوب الشلف، لنرصد أسماء مجالات مرتبطة بالطوبونيميا المائية أو الهيدرونيميا (Hydronymy)، وهي التي تعنى بدراسة أسماء مجاري المياه، كون الماء هو منشأ الحضارات والتجمعات البشرية المختلفة، وأشد ارتباطا بها، وقد عرف سكان قرية العثمانية الاستقرار بفضل وجود مصادر الماء المختلفة، وقد تحتم عليهم - حينئذ - إطلاق أسماء على تلك المصادر، سنحاول استقصاءها وحصرها، ثم دراستها.

الكلمات المفتاحية:

الطوبونيميا المائية، الهيدرونيميا، قرية العثمانية، المواقع، الشلف.

Abstract:

In this research, we will shed light on the hydronymy in the village of ATHAMNIA, located in the far south of Chlef, to monitor areas associated with water toponymy or the hydronymy, which is concerned with studying the names of water sources, since water is the origin of civilizations, and various human gatherings and more closely related to them.

*رضوان شيهان

The residents of the ATHAMNIA village knew stability thanks to the presence of different water sources, and it was necessary for them to give names to those sources, SO we will try to investigate and count them and then study them.

Keywords :

Water toponymy; Hydronymy ; Water Sources; AL-ATHAMNIA Village; Chlef

1 / مقدمة:

إن ارتباط الإنسان أو الجماعة البشرية بالأماكن الجغرافية، تنشأ منه الحاجة إلى إطلاق الأسماء والأوصاف عليها بطريقة مقصودة أو عفوية، وهذا الارتباط قد ينتج عن علاقة التملك الحسي، أو العلاقة الوجدانية، وفي تلك الأسماء شحنات فكرية وثقافية وعقدية ونفسية، تمنح المكان طبيعة خاصة بين الأماكن المجاورة له، كما أن النظام اللغوي القائم على الاختلاف، يعين الإنسان على توضيح التمايز بين الأشخاص والجواهر.

إن الاسم يمنح قيمة للمكان، ومع مرور الزمن يصبح أيقونة دالة عليه، سرعان ما ترتبط بالأحداث التاريخية والوجدانية للإنسان، ويصبح علامة لغوية بارزة في الوعي الجمعي للجماعة البشرية، يصعب معها فصل الاسم الدال عن المكان المدلول عليه، ومن هنا نشأت الحاجة إلى تخصص علمي يدرس تلك الأسماء ويبين العلاقة بينها وبين المكان من جهة، وبينها وبين الإنسان من جهة أخرى، فسمي بالطوبونيميا.

2 / تعريف الطوبونيميا وعلاقتها بالعلوم الأخرى:

إن كلمة طوبونيميا (*Toponymie*) هي كلمة إغريقية مركبة من كلمتين، الأولى طوبو (*Topos*) بمعنى المكان (أو الأرض) و (*Anuma*) بمعنى الاسم، وهذا التخصص العلمي المتصل بالأعلام الجغرافية، "يعنى بدراسة أسماء الأماكن وأصولها، والبحث في معناها وتفسيرها، ورسم تحولاتها على مر العصور، أو بعض العصور، وتحديد قيمتها التراثية والفكرية، وملامح التغيير في أنساقها اللغوية" (البركة، 2012، صفحة 14)،

وهذا مجال واسع لا يقتصر فيه على دراسة أسماء الأماكن الآهلة فقط، بل يشمل غير الآهلة أيضا، كما يتعدى أسماء المجالات الكبرى إلى أسماء المجالات الصغرى (البركة، 2012، صفحة 15).

ويعد كتاب (أسماء أماكن فرنسا) الصادر عام 1920م، لصاحبه أوغست لونيون (*August Longon*)، أول بحث منهجي منظم أسس لعلم المواقع، ثم جاءت أبحاث شارل روستينغ (*Charles Rostaing*) وألبرت دوزا (*Albert Douzat*) وإرنست ناغر (*Ernest Nègre*) لتبين معالمه الرئيسية (Wikibidia L'encyclobedie, 2021).

إن الطوبونيميا (*Toponymie*) هو فرع من علم المواقع (*L'onimastique*) وهو يتضمن فروعاً أخرى؛ منها: الميكروطوبونيميا (*La microtoponymie*) دراسة أسماء المواقع الريفية والحضرية، والهيدرونيميا (*L'hydronymie*) دراسة أسماء مجاري المياه، و الأورونيميا (*L'oronymie*) دراسة أسماء الجبال، والأودونيميا (*L'odonymie*) دراسة أسماء الشوارع، والأجيوتونيم (*Hagiotoponyme*) دراسة أسماء الأماكن ذات العلاقة بالأولياء الصالحين والقديسين، والإثنونيميا (*Ethnonyme*) دراسة أسماء الجبال.

ولعلم المواقع علاقات علمية وشيجة بكثير من العلوم المساعدة ذات الاهتمام المشترك؛ منها اللسانيات والتاريخ والجغرافيا؛ فأما ارتباطه باللسانيات فهو ارتباط وثيق، ذلك أن التسمية في الأصل لغوية، وهي عنصر لغوي، قد يتغير بتعاقب الأزمنة أو اندراس الأمكنة (حاجي خليفة، د.ت)، والطوبونيمي لا بد له من التسليح بالمعرفة اللغوية التي تؤهله لمعرفة معاني الأسماء، وتحوارتها اللهجية، وتغيراتها عبر الأزمنة، وهذا هو أحد أهم الأعمال المنوطة بالباحث في مجال الطوبونيميا، و"إذا كان المخزون اللغوي مهما في ضبط الأعلام الجغرافية، فإن هذا المخزون مهما علا رصيده لن يكون حاضرا بكل اشتقاقاته إلا إذا استند على التاريخ لتحليله معانيه، مما يجعل البعد التاريخي حاضرا أثناء ضبط الأعلام الجغرافية، يُعدُّ يمثل المخزون الحي للاسم بما هو الإطار أو السياق التاريخي الذي صيغ فيه، ومجموع المؤثرات التي أسهمت في تثبيته" (البركة، 2012، الصفحات 38-39)، ذلك أن حركة التاريخ البشرية ذات علاقة وطيدة بالمواقع

(Brahim Atoui, 2005, p. 33).

كما يعتبر البعد الجغرافي للمكان حاضرا بقوة في التسمية، من حيث المضمون الجغرافي الذي تضمنه الاسم، ودل عليه دلالة صريحة، أو كناية عن ظواهر وأشكال وأحجام وألوان وتضاريس طبيعية، وجهات جغرافية، وظروف مناخية، وأنواع معدنية ونباتية وحيوانية (الزقراطي، 1997، الصفحات 37-38)، كما يعتبر المكان معلما يستدل به الجغرافيون والرحالة المتحولون في الأمصار والأقطار، وما يزال -إلى اليوم- المعلم الذي يهتدي به الإنسان في تجواله في الأرض مهما تقدمت التكنولوجيا، لأن البعد الجغرافي للمكان حاضر بقوة في التسمية.

إذن "فاسم العلم الجغرافي على قدر بساطته من حيث التداول، إلا أنه يمثل أساس رصيد تراكت عبره العديد من الأشكال المظهرية وانشدت إليه العديد من الجماعات، وعرف به العديد من الأعلام، حتى أصبح وعاء يحوي الكثير من المعاني والأحداث والقضايا" (البركة، 2012، صفحة 37).

3/ طوبونيميا أسماء الأماكن في جنوب ولاية الشلف:

يتميز جنوب ولاية الشلف بطابعه الجبلي الذي تتوزع عليه كثير من القرى، ويشغل سكانها بالفلاحة الموسمية، كزراعة الحبوب، وإنتاج الخضر والفواكه، كما ينشطون في مجال تربية الماشية والدواجن، ويحتفون مهنا يدوية؛ كصناعة الزرابي، واستغلال نبات (الدوم) (الكاميروبس) (*Chamaerops*) المنتشر بكثرة في المنطقة، لصناعة الأشرطة والسلال والقفاف ذات الأحجام والألوان المختلفة، وكذا برادع الحيوانات والسلال التي توضع عليها.

كما تشترك قرى جنوب ولاية الشلف، وخصوصا تلك المنتشرة في حدود دائرة أولاد بن عبد القادر، بالتقاليد الاجتماعية والاقتصادية نفسها، نظرا لاشتراك كثير منها في أصول قبلية واحدة، إذ تجتمع التجمعات القروية في مجموعات عشائرية لتشكل العروش، وهذا ما جعل منهج تسمية الأماكن هو نفسه في أغلب قرى المنطقة، وكمثال عملي ستكون قرية (العثمانية) نموذجا لدراسة الطوبونيميا الأماكن في جنوب الشلف.

إن جمع المادة الطوبونيمية ليس أمراً سهلاً، لصعوبة التعرف على أسماء كثير من الأماكن فضلاً عن معانيها، خصوصاً أن كثيراً من كبار السن الذين استقست من أفواههم تلك الأسماء لا يدركون معانيها لقدمها، وهذا ما يستلزم أيضاً بحثاً طويلاً، ولذلك عدلت عن توسيع فكرة إجراء مسح عام لقرى جنوب الشلف إلى الاقتصار على قرية واحدة، قرية (العثمانية) التي هي مسقط رأسي، لمعرفتي بكثير من تلك الأسماء من جهة، وحتى يكون التأسيس المنهجي لبقية البحوث التي تمس القرى الأخرى.

4/ التعريف بقرية العثمانية:

تقع (قرية العثمانية) في أقصى الجنوب الغربي لبلدية أولاد بن عبد القادر من ولاية الشلف، على الحدود مع ولايات تيسمسيلت وغلزيان في الجنوب والجنوب الغربي، ومع قرية الغراب شرقاً و شمالاً، وتتميز تضاريسها بالطابع الجبلي الغابي، وبها الجبل المعروف باسم (سعدية). وقد كانت بلدية أولاد بن عبد القادر معقلاً للاستعمار الروماني، دل عليه وجود آثار رومانية مختلفة، كالضريح المتواجد بقرية الحباير، بالإضافة إلى تماثيل وفسيفساء تكتشف بين الفينة والأخرى (شيهان، 2020، صفحة 13).



بقايا آثار رومانية بقرية (الحباير)

وتتميز هذه المنطقة بكثير من مناطق الوطن بأضرحة الأولياء الصالحين، وخصوصاً المناطق الغربية منه، وهم في الغالب من أهل العلم الذين لقوا من الترحاب والضيافة من أهالي هذه المناطق الجبلية، قصد النهل من علومهم، ما جعلهم يستقرون بها نهائياً، ويدفنون في ترابها (شيهان، 2020، الصفحات 13-14).

وكان من أشهر هؤلاء الولي الصالح سيدي سحنون بن عثمان اليديري الونشريسي (ق11هـ) (بنيرد، 2019، الصفحات 56-60)، الذي استقر في حدود قرية العثمانية، التي منها أحفاده من ابنه عثمان، وبه تسمت، وقد دفنا في قبرين متجاورين في مقبرة قرية (الكرادة)، وظل ضريحهما -طيلة قرون- مزارا للناس (شيهان، 2020)، ويعد سكان قرية العثمانية من أهم خمسة بطون لعرش السحانين (أحفاد سيدي سحنون) (شيهان، 2020، صفحة 16).

لقد "كانت هذه القرى وما جاورها معقلا للثوار، وحصنا منيعا لهم، ومسرحا للكثير من المعارك الضارية، وعلى حدودها مع ولاية تيسمسيلت، ضمت مقبرة باب البكوش في ترابها رفاة أكثر من 1000 شهيد، وما يؤكد أهميتها الثورية، هو زيارة الجنرال ديغول لها عام 1958م" (شيهان، 2020، صفحة 15).

5/ الطوبونيميا المائية بقرية العثمانية: الخصائص والمجالات

5-1/ أسماء طوبونيمية مرتبطة بالمجال الفلاحي والاجتماعي:

1- عين الدفلة: عين ماء ينتشر في محيطها نبات الدفلة بشكل كثيف، وهي تقع في وسط القرية تقريبا، وتستعمل للشرب، وسقي الأنعام، و الحقول الصغيرة.

2- عين ماق رامان: (ماق رامان) عشبة تنبت بكثرة حول هذه العين، وتستعمل للشرب وسقي الأنعام والحقول الصغيرة.

3- عين السمارة: عين ماء ينتشر حولها نبات السَّمَار، وتقع وسط حقل كبير من أشجار التين، وتستعمل للشرب، وسقي الأنعام، و الحقول الصغيرة.

4- عين الحجر: عين ماء متفجرة من تحت صخرة هي الأكبر حجما في القرية، وبها سميت، ولأنها دائمة الجريان فإن سكان القرية يلجؤون إليها كلما جفت الأعين الصغيرة الأخرى، للشرب وسقي الأنعام و الحقول الصغيرة.

5- العين الحامية: عين ماء ساخنة (ماء + صفة)

6- عين أحمد بن العربي: هي عين ماء أطلق عليها اسم مالکها الأول؛ أحمد بن العربي.

5-2/ الأسماء الطوبونيمية لبعض المجمعات المائية الفصلية:

يطلق السُّكان أسماء كثيرة على المكان المنبسط الواسع الذي تجتمع فيه مياه الشتاء والربيع فترة طويلة قد تمتد حتى نهاية الصيف، حيث يتسنى لهم الاستفادة منها فترة أطول في سقي الأنعام والحقول الصغيرة، وكذا غسل الملابس والأغطية، كـ(الحوض) و(المرج) و(الحامول) و(الحاسي)

1- حوض المكاحل: شبه استواء أرض هذا الحوض باستواء ماسورة (المكاحل)، جمع (مكحلة) وهي بندقية الصيد في اللهجة الجزائرية، وقد تطلق على كل سلاح ناري فردي بماسورة طويلة.

2- لحواض (الأحواض): منطقة على حدود القرية، تتميز بكثرة الأحواض المائية الصغيرة فيها في فصل الشتاء.

3- حوض السما: يقع حوض (السما) على الحدود الشرقية للقرية مع غابة (درزة)، وهو أرض زراعية واسعة، هي الأكثر ارتواءً بمطار الشتاء في القرية، ويحتاج الوصول إليها إلى النزول عبر منحدر شديد، وقد نسب اسم هذا المكان إلى (السما) لأنه يظهر للرائي من بعيد كأنه قطعة من السماء، فلذلك نسب إليها.

4- حوض طابو: مكان مسطح تجتمع فيه مياه الأمطار الموسمية.

5- المرج: (بالميم الساكنة والراء المفتوحة المرققة، والجيم الساكنة)، جمع (مرجة)، وهي منبع مائي متدفق على سطح الأرض، يشكل حوضاً مائياً وغطاء نباتياً كثيفاً، وهو مصطلح آخر شبيه بالحوض.

6- الحامول: وهو واد يقع في منحدر أسفل القرية، يفيض شتاءً، وسمي بالحامول لأن مياه الأمطار الموسمية الجارية فيه تحمل في طريقها كل شيء.

7- المغاسل: هي أرض منبسطة تتجمع فيها المياه الموسمية، تستغلها نسوة القرية لغسل الملابس والأغطية على الحجارة الكبيرة المنتشرة في المكان.

8- الحواسي: الحواسي : (ج حاسي)، مساحة من الأرض منبسطة، تتجمع فيها المياه الموسمية، تستغل لسقي الأغنام والأبقار وبقية الدواب.

5-3/ الأسماء الطوبونيمية لبعض المجمعات المائية الصغيرة:

1- **العناصر**: ينابيع ماء صغيرة تتدفق على سطح الأرض، قليل ماؤها، تشرب منها الماشية، وبقية الحيوانات البرية.

2- **العُنْصُر** : نبع ماء صغير، وهو مفرد (عناصر)، لكنه ناءٍ عن المكان المسمى (العناصر).

3- **التَّسْيِسة**: نبع ماء أصغر من العنصر ، لا يرى منه إلا بلل في تراب الأرض، ربما شربت منه الماشية أو الحيوانات البرية إذا تجمع مائها فترة طويلة.

5-4/ الأسماء الطوبونيمية للوديان الموسمية:

1- **وادي البعويد**: هو واحد من الوديان المتشكلة من السيول الموسمية الجارية من أعلى جبل سعدية، به أشجار ثمرة الإحاص المعروفة في العامية بالبعويد، ومعنى الواد ليس بالضرورة السيول الدائم للماء.

2- **وادي الغرايب**: واد يمر على قرية العثمانية، متجها نحو قرية الغرايب المجاورة لها.

3- **وادي الفرنان**: واد متشكل بفعل السيول الموسمية، يمر بين أشجار الفلين التي تتميز بها غابة جبل سعدية، ويعرف الفلين في العامية الجزائرية باسم (الفرنان).

4- **عين الغزلان**: عين ماء كانت الغزلان تقصدها قديما للشرب منها، وتقع على تخوم غابة جبل سعدية، وما زالت تستغل إلى يومنا هذا.

5- **الما لحمر**: عين ماء مائل لونه إلى الحمرة، وتقع قريبا من قمة جبل سعدية.

6/ الحقول الدلالية للطوبونيميا المائية بقرية (العثمانية):

تعتبر الطوبونيميا المائية حقلا دلاليا داخل بقية الحقول الطوبونيمية، لأنه به تكون حياة القرية، وقد تنوعت الأسماء بتنوع مصادر الماء؛ عين، ووادي، وحاسي، وحوض، وعنصر ، ونسيصة ... إلخ، ويمكن أن نقسم تلك الأسماء إلى حقول فرعية، كما في الجدول التالي.

الرقم	الحقل الدلالي	أمثلته
01	ماء + نبات	وادي البعويد- عين الدفلة

02	ماء + حيوان	عين الغزلان
03	ماء + جماد	عين الحجر
04	ماء + صفة	الماحمر - العين الحامية
05	ماء + اتجاه	وادي الغرايب
06	ماء + مكان	الحامول
07	ماء + نشاط اجتماعي	المغاسل
08	ماء + اسم علم	عين أحمد بن العربي

7/ خاتمة:

لقد تنوعت الطوبونيميا المائية في قرية (العثامنة) بتنوع مصادر المياه، وأوصافها، ومظاهر استخدامها الاجتماعية، وأدلة مواقعها، كما يعتبرها سكان القرية أيضا في التعرف على الحدود بين القطع الفلاحية والزراعية، كما هو الشأن لبقية الأسماء الطوبونيمية التي سنتناولها في بحوث قادمة، باعتبار الطوبونيميا المائية حقلا دلاليا فرعيا يشكل مع بقية الحقول الأخرى، المنظومة الطوبونيمية التي أسسها المجتمع المحلي عبر الزمن.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

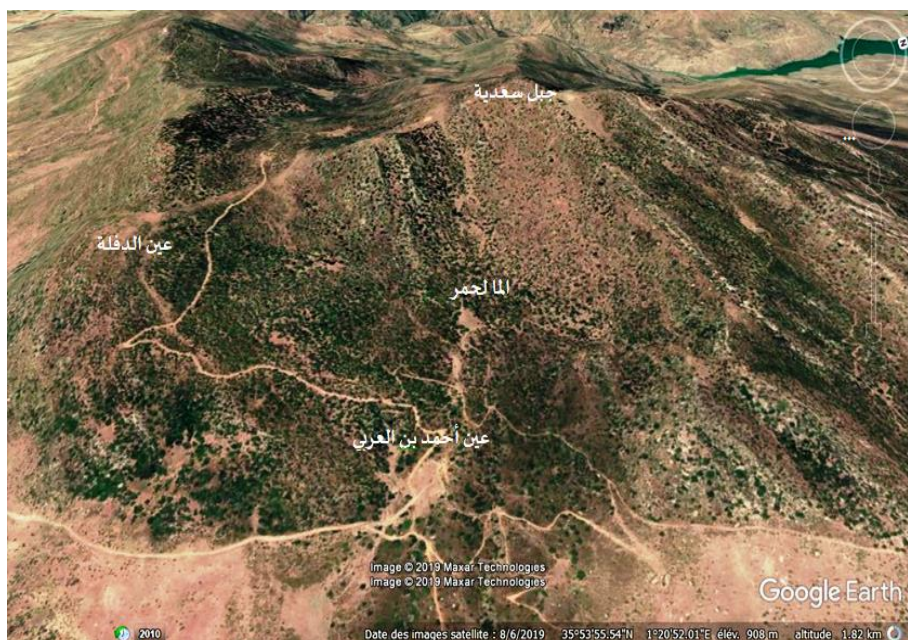
- حاجي خليفة. (د.ت). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- إبراهيم موسى الزقراطي. (1997). أسس الأسماء الجغرافية. المملكة الهاشمية الأردنية: المركز الجغرافي الملكي الأردني.
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن ابن منظور. (1979). لسان العرب. لبنان: دار صادر.
- بن عثمان اليديري الونشريسي. (2009). تحرير المقال في الصلاة والسلام على سيد الأرسال. لبنان: دار ابن حزم.
- حاج بنيرد. (2019). تفاسير البسملة والحمدلة في الغرب الإسلامي: دراسة بيبليوغرافية. مجلة الصراط، 56-60.

- شيهان رضوان. (2020). صفحات ثورية من ربوع جبل سعديّة (مذكرات المجاهد أحمد شيهان). الجزائر: مطبعة بن حمدة.
- محمد البركة. (2012). الطوبونيميا بالمغرب الإسلامي؛ إسهام في ضبط أسماء الأماكن، (مقدمات في الفهم والمنهج والعائق)،. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

باللغة الأجنبية:

- Brahim Atoui, A. (2005). *Toponymie et Espace en Algerie*. Alger: Institut national de Cartographie.
- Wikibidia L'encyclobedie, L. (2021, 12 25). *Toponymie française*. Récupéré sur Wikibidia L'encyclobedie Libre: https://fr.wikipedia.org/wiki/Toponymie_fran%C3%A7aise

6. ملاحق:



الطوبونيميا المائية في جنوب ولاية الشلف : قرية (العثمانية) نموذجاً

